الجديدة . وربما كان هذا من حسن حظ حيفا اذ انها بسبب بعدها عن سلطة دمشق اصبحت مأوى للقراصنة وللتجارة المهربة حتى اصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » . فأخذت السفن تقصدها متجاوزة عن عكا وصيدا وعلى الأغلب للتهرب من دفع الضرائب المستحقة او لشراء مواد لم تكن الدولة تسمح بالمتاجرة بها كالقمح والبارود، وللتزود بالماء. وكان القنصل الهولندي في عكار طرفا في عملية التهريب تلك فكان ذلك مدعاة لاثارة حفيظة زميلة القنصل الفرنسي نظرا للاضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية التي كانت تعتمد مينائي صيدا وعكا . ونتيجة للشكاوى الفرنسية ، اصدرت الدولة العثمانية سنة ١٧١٦م فرمانا الى خليل باشا واليها في صيدا ، تشير فيه الى حركة القرصنة وتأمره ببناء عدد من الابراج حول ميناء حيفا في محاولة منها لوضع حد لعملية التهريب تلك . واستجابة لذلك قام الوالي المذكور بزيارة استطلاعية للمنطقة وكانت توصياته تتخلص باعادة بناء القلعة ولكن وفاته المفاجئة أجلت الموضوع الى ان استؤنف النظر فيه سنة ١٧٢٢م(٥٠) . وكان قرار الدولة العثمانية يتلخص في تعمير برجين على جانبي الخليج ، بدل اعادة تعمير القلعة نظرا لما كان يتطلبه اعادة بنائها من التكاليف الباهظة . وكلفت واليها عثمان باشا ابو طوق(٥١) في صيدا بالاشراف على تنفيذ هذا القرار . فتم انجاز تعمير البرج الأول على الجهة الشرقية في سنة ١٧٢٣م وفرغ من اقامة البرج الثاني على الجهة الغربية من الميناء في سنة ١٧٢٥م . وأقام عثمان باشا ابو طوق في كل منها

---

(٥٠) انظر: Amnon Cohen, *Palestine in the 18th Century, Patterns of Government and Administration*, Jerusalem, 1973, *pp.* 137-140.

وحول تواجد القناصل في الدولة الاسلامية انظر :

B. Spuler «Consul». *E.I.*^{2}, Vol, II, *pp.* 60-61.

والجدير بالذكر ان السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) ، يعرف القنصل بقوله : « قلت ويعبر به عن الوكيل للكفار في بلاد الشام ، **تاريخ العروس** م٨ ، ص ٨٩ .

(٥١) القبودان عثمان باشا ابو طوق (ت ١٧ ربيع الثاني ٣٩ (١هـ/ ٢٦ كانون الأول ١٧٢٦ م) ، كان زوجا لشقيقة السلطان ، تولى حكومة دمشق الشام اكثر من مرة ، وكذلك البصرة وصيدا ، واثناء توليه دمشق كان امير قافلة الحاج الشريف اكثر من مرة،ومن هنا اكتسب لقب حاج . ولي احد ابنائه الذي كان زوجا لابنة السلطان صيدا واخر ولي القدس . اتسم عهده بدمشق بظهور فئة اطلق عليها اسم العوانية ، الحقت الضرر بالناس وابتزت اموالهم مما دفع العامة بقيادة المفتي محمد خليل البكري الصديقي (ت ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) الى ان يهاجموا العوانية « فمنهم من قتل ومنهم من صلب واخبروا الدولة العلية بما وقع وصدر » ، حول اوضاع بلاد الشام في عهده انظر ، محمد بن جمعة المقار (ت ح ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) ، **كتاب الباشات والقضاة** نشره صلاح الدين المنجد مع نصوص اخرى **باسم ولاة دمشق في العهد العثماني** ، دمشق ، ١٩٤٩ ، ص ٥٧ ـ ٦٠ ، الشدياق ، **اخبار الاعيان** ، م١ ، ص ٥٧ ، م٢ ، ص ٣١٦ ، حيدر احمد الشهابي (ت ١٨٣٥م) **الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان** ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، م٢ ، ص ١٧ ، عبد الكريم رافق ، **بلاد الشام ومصر** ، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ولنفس المؤلف : *The Province of Damascus*, *pp.* 77-85, 112-13.

يذكر عبد الامير محمد امين شخصا باسم الوزير عثمان باشا متسلما للبصرة ما بين ١٧١٢ ـ ١٧١٤ ، **القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر** ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ملحق رقم ٣ ، ص ٩٣ ، حول حياة الشيخ البكري راجع محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١ م) **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر** ، م٢ ، ص ٨٣ ـ ٩٧ .